

الإعلامية و المقامية

وأثرهما في الانسجام النصي¹

د. نجادي بوعامة

جامعة - ابن خلون تيارت -

الملخص

لقد اشتغل هذا البحث الموسوم ب : (الإعلامية و المقامية و أثرهما في الانسجام النصي) على تحديد مفهوم الإعلامية ، ووفق يحرص دورها في الانسجام النصي وفق ما أشار إليه المنظرون اللسانيون من قبيل دي بيو جراند (Robert Alain De Beau grand) إذ تتعلق الإعلامية بالمدى الذي تصل إليه الأحداث المعبر عنها في النص الحاضر، في مقابل غير المتوقع، أو المعروف في مقابل غير المعروف ، مما يحتم على مستقبلي النص دراسة الدوافع بغية الولوج إلى عالم الأحداث لمعرفة دلالتها، وسبب اختيارها عن غيرها، وكيفية المحافظة على الاستمرارية التي هي أساس الاتصال. وفي حالة عدم توصل مستقبلي النص لأي حل فالنص حينئذ يكون في صورة كلام فارغ . أما الجزء الثاني من البحث فيضطلع بفحص استقراء المقامية متتبعا كيف تناولها تراثنا وكيف أنها حضيت بذلك الاهتمام البالغ، منتبهة إلى رصد كيفية تأثيرها في الانسجام النصي على يد علم اللسان الحديث، وتوصلت هذه الدراسة إلى أن المقام هو مركز علم الدلالة الوصفية، وأساس الشق الاجتماعي لوجه المعنى الثلاثة ، ووجه العلاقات، والأحداث، والظروف الاجتماعية المصاحبة للمقال.

الكلمات المفتاحية

1- السبك 2- الحبك 3- القصد 4- القبول 5- الإعلامية 6- المقامية 7- التناس 8- سياق الحال

9- السياق 10- النظرية السياقية

Resume

This research, which is characterized by the infomativity , situationality, and their impact on textual harmony, is based on the definition of the infomativity concept and it goes to restricts its role in textual harmony, according to what the theoreticians denotes , such as Robert lain De Beau Grand, relate to the extent

¹ تاريخ الايداع : 2017/09/20 تاريخ الموافقة : 2017/11/08

to which the events expressed in the current text In contrast to the unexpected or known in exchange for the unknown, which makes it imperative for the future text to study the motives in order to enter the world of events to see the significance and reason for choosing from others and how to maintain the continuity that is the basis of communication. In the case that the text receiver do not reach any solution , the text will be a form of empty words. The second part of the research examines the extrapolation of the situationality following how we dealt with our heritage and how it takes great importance to monitor how it affects the harmony of text by linguistics. This study concluded that the situationality is the center of descriptive significance and the basis of the social aspect of the three sides of the meaning : relations , events and the social conditions associated with the situationality.

Keywords

*1 Cohesion 2 Coherence 3 Intentionality 4 Acceptability
5 Informativity 6 Situationality 7 Intertextuality 8 context of
situation 9 Context 10 Contextual Meaning*

مقدمة

جدير بالذكر أن النص كان موضوع الدراسات البلاغية والأدبية منذ القديم، بيد أنه و منذ منتصف القرن العشرين أصبح موضوعا لسانيا ، وذلك بعد التطور الملحوظ شهدته الدراسات الدلالية والتداولية والتلفظية . الأمر الذي ساعد على تبلور الأفكار والآراء حول النص والنصية في الفترة ما بين سنوات الستين والسبعين من القرن الماضي مع لفيف من اللسانيين ، من قبيل فان ديك V.Dijk ، وكومير W.Kummer ، وهارويغ Harweg، وبيتوفي Petöfi .

يقول روبرت ألان دي بيو جراند (Robert Alain De Beau grand): "النص حدث تواصل يلزم لكونه نصا أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويحول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير"¹

وتنقسم هذه المعايير إلى الأقسام الآتية:

- 1- ما يتصل بالنص في ذاته وهما: 1- السبك 2- الحبك.
- 2- ما يتصل بمستعملي النص (منتج / متلقي) وهما: 1- القصد 2- القبول .
- 3- ما يتصل بالسياق المادي والثقافي والاجتماعي المحيط بالنص وهي :
1- الإعلامية 2- المقامية 3- التناس .

فالإعلامية والمقامية إذن حسب ما يراه روبرت ألان دي بيو جراند تتصلان بالسياق المادي والثقافي والاجتماعي المحيط بالنص فما الإعلامية والمقامية يا ترى وكيف تتفاعل في تحقيق الانسجام النصي ؟ ذلك ما سينهض بتوضيحه هذا البحث المتواضع .

الإعلامية:

تتعلق الإعلامية بالمدى الذي تصل إليه الأحداث المعبر عنها في النص الحاضر في مقابل غير المتوقع أو المعروف في مقابل غير المعروف ومن هنا تأتي الحاجة إلى فكرة الاحتمال حيث يكون الأكثر احتمالاً في أي موقف هو الأكثر توقفاً من الأقل احتمالاً وعندما يحدث شيء غير متوقع على المستقبل أن يدرس الدافع لمعرفة ما تدل عليه الأحداث ولماذا تم اختيارها وكيف يمكن أن يحدث مرة أخرى مع تحقق الاستمرار الذي يعتبر أساس الاتصال وفي حالة عدم توصل المستقبل لأي حل يكون النص في صورة كلام فارغ² .

إن مصطلح الإعلامية³ يطلق للدلالة على مدى ما يجده مستقبلو النص في عرضه من جدة وعدم توقع . وفي العادة تطبق هذه الفكرة على المحتوى ، وإن يكن من الممكن توافر الإعلامية في وقائع أي نظام من أنظمة اللغة وإنما يعود التوكيد على المحتوى إلى الدور المهيمن الذي يقوم به التقارن⁴ في النصية في حين تبدو الأنظمة اللغوية مثل الفونيمات أو النحو أنظمة ثانوية أو مساعدة . ولذا فهي أقل وقوعاً منه في بؤرة الاهتمام المباشر .

إن تركيز الاهتمام على تقارن المفاهيم والعلاقات يؤدي إلى حرمان الأنظمة الأخرى من البروز إلا إذا تمت معالجتها بطرق بالغة الخروج عن المؤلف ، ومن أمثلة ذلك ما تشتمل عليه بعض النزعات في الشعر العربي المعاصر من تشكيلات غريبة لأصوات لا تؤلف كلمات معروفة . كما نجد أمثلة على ذلك في الطرائف التي رواها القدماء من تقعر النحاة في كلامهم كما هو الحال في المثال التالي من البيان والتبيين : قال أبو علقمة النحوي⁵ يا آسي⁶ إني رجعت إلى المنزل وأنا سنق⁷ لقس⁸ فأتيت بشنشن⁹ من لوية¹⁰ ولكيك¹¹ وقطع أقرن¹² قد غدرن¹³ هناك من سمن ورفاق شرشضان¹⁴ وسقيط عطط¹⁵ ثم تناولت عليها كأساً.

قال له الطبيب: خذ خرفقا وسفلقا ووجرفقا¹⁶ قال: ويلك أي شيء هذا ؟

قال : وأي شيء ما قلت ؟

المقامية السياق لغة: السياق لغة من الجذر اللغوي (س و ق)، والكلمة مصدر ساق يسوق سوفاً وسيافاً¹⁷ (فالمعنى اللغوي يشير إلى دلالة الحدث، وهو التتابع.) وذكر التهانوي: أن السياق في اللغة بمعنى الإيراد¹⁸

السياق اصطلاحاً: يقول التهانوي " :والحال في اصطلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص - أي الداعي إلى أن تعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصية ما هي المساءة بمقتضى الحال، مثلا كون المخاطب منكرا للحكم حال يقتضى تأكيد الحكم والتأكيد مقتضاها، وفي تفسير التكلم الذي هو فعل اللسان باعتبار الذي هو فعل القلب، مسامحة مبالغة في التنبيه، على أن التكلم على الوجه المخصوص إنما يعد مقتضى الحال إذا اقترن بالقصد والاعتبار ... وعلى هذا النحو قولهم علم المعاني: علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال - أي يطابق صفة اللفظ مقتضى الحال، وهذا هو المطابق بعبارات القوم حيث يجعلون الحذف. والذكر إلى غير ذلك معللة بالأحوال، ولذلك يقول السكاكي الحال المتقتضية للذكر والحذف، والتوكيد إلى غير ذلك"¹⁹ ويقول الدكتور تمام حسان تأكيدا لهذه المعاني اللغوية التي تدل على التتابع أو الإيراد " :المقصود بالسياق التوالي، ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين أولاها: توالى العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبب، والسياق من هذه الزاوية يسمى سياق النص.

والثانية: توالى الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه الناحية يسمى السياق سياق الموقف "²⁰ في المعاجم العربية المتخصصة يقول محمد علي الخولي في معجم علم اللغة النظري " :السياق (context) البيئة اللغوية المحيطة بالفونيم أو المورفيم، أو الكلمة، أو الجملة. والنظرية السياقية أي: (Contextual Meaning): هي تفسير معنى الكلمة حسب السياق الذي تقع فيه "²¹ فمصطلح السياق (Context) يتكون من مقطعين Text وCon أي مع النسيج يقول د. يحيى أحمد " :إن السياق جزء من التخطيط الكلي، وليس هناك انفصال بين ماذا نقول؟ وكيف نقول؟، إذ أن اللغة إنما تكون لغة عن طريق الاستعمال في سياق الحال. وكل ما فيها مرتبط بالسياق"²² إن المقام هو المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفية، وهو الأساس الذي يبنى عليه الشق الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة، والوجه الذي تتمثل فيه العلاقات، والأحداث، والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال. علما أن المقال بمستوياته الوظيفي (الصوتي والصرفي والنحوي)، والمعجمي لا يمثل إلا المعنى الحرفي أو معنى ظاهر النص، وهو معنى فارغ من محتواه لانعزاله عن جانبه الاجتماعي والتاريخي

، وما يحيط بالنص من جملة القرائن الحالية²³ . يقول تمام حسان: " ولو أننا حاولنا فهم المقال منفصلاً عن المقام ، لجاء فهمنا إياه قاصراً مبتوراً وخاطئاً"²⁴

السياق المقامي : ويسمى أيضاً بسياق الموقف أو سياق الحال أو السياق الخارج عن النص أو السياق الاجتماعي . ويقصد به السياق الخارجي للغة ، الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة ، ويشمل كل ما يحيط باللفظة من عناصر غير لغوية تتصل بالعصر أو نوع القول أو جنسه أو المتكلم أو المخاطب أو الإيماءات أو أية إشارة عضوية أثناء النطق تعطي للفتة دلالتها.

يقول الجاحظ : " والمعنى ليس يشرف أن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة ، وإنما مدار الشرف على الصواب ، وإحراز المنفعة ، مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال ، وكذلك اللفظ العامي والخاصي ، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة قلمك ولطف مداخلك ، واقتدارك على نفسك ، إلى أن تفهم العامة معاني الخاصة ، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلتطف عن الدهماء ، ولا تجفو عن الأكفاء ، فأنت البليغ التام."²⁵

مصطلح سياق الحال :

يعود مصطلح سياق الحال (context of situation) إلى العالم الأنتربولوجي الهولندي " مالينوفسكي " علماً أن هذا المصطلح كان متداولاً عند غيره من اللغويين بيد أن مالينوفسكي أضفى عليه ما ليس عند غيره منطلقاً من نظرتة إلى اللغة التي لم تعد عنده كنظرة التقليديين لها محصورة في التواصل حيث أصبح ينظر إليها على أنها نوع من السلوك ، وضرب من العمل ، وأنها تؤدي وظائف كثيرة منها التواصل. ثم جاء الأستاذ "فيرث" وطور هذا المفهوم وأصبح يشمل كل أنواع النشاط اللغوي ، من كلام وكتابة أي جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي ، ومن هذه العناصر المكونة للحال الكلامية :

- 1- شخصية المتكلم والسامع وثقافتها . وشخصية من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع إن وجد . وبيان علاقة ذلك بالسلوك اللغوي ، ودور هذه الشخصيات إن كان مقتصرًا على الشهود أم على المشاركة بالكلام ، والنصوص الكلامية الصادرة عنهم .
- 2- العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحالة الجو ، والوضع السياسي ، ومكان الكلام ، وكل ما يطرأ أثناء الكلام من انفعالات واستجابات .

3- أثر النص الكلامي في المشتركين (إقناع ، ألم ، إكراه ، تهديد ، ضحك ، إغراء)

- 4- جميع أنواع الوظائف الكلامية لكون المعنى مركباً من مجموعة الوظائف اللغوية وأهم عناصرها (الوظيفة الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية، والدلالية) ولكل وظيفة منهجها الذي

يجب أن يراعى أثناء الدراسة²⁶ .

السياق اللغوي: يهتم السياق اللغوي بدراسة مستويات الكلام اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. ومقتضى دوره يتأتى من أن اللغة ظاهرة اجتماعية يعبر بها الناس عن أفكارهم، وحاجاتهم، ولذلك فهي متأثرة بالمحيط الخارجي لها، وبالتالي فاللغة تستخدم وسيلة تعبيرية تأثيرية وهي ليست شيئاً مجرداً عن الواقع الذي توجد فيه، بل إن وظيفتها هي التفاعل مع هذا الواقع. إنها لتتأثر تأثيراً كبيراً بكل الظواهر الاجتماعية، لدرجة أنها تتخذ شكل المجتمع الذي توجد فيه، وكثيراً ما تخلو مدلولات الكلمات في المجتمع البدائي من الدقة، ويكثر فيها اللبس، والإبهام، وهي غالباً لا تعبر إلا عن ضرورات الحياة اليومية، ولذلك كانت جملة قصيرة وروابطها قليلة، وكثيراً ما تعتمد على الإشارات اليدوية، والجسمية لإعطاء المعنى المقصود. " لأن الإشارات التي تصحب الكلام، تكمل الناقص من المفردات، وتحدد مدلول الكلمات، ولا تزال في اللغة الراقية بقايا، هذه البدائية، في بعض الإشارات الجسمية الموضحة للمراد من الكلام في بعض الأحيان".²⁷

وهذا ما ذهب إليه الغزالي في المستصفى: "أما قولهم ما ليس بلفظ فهو تابع للفظ فهو فاسد، فمن سلم أن حركة المتكلم وأخلاقه وعاداته وأفعاله وتغير لونه وتقطيب وجهه وجبينه وحركة رأسه وتقليب عينيه، تابع للفظه؟ بل هذه أداة مستقلة يفيد اقتران جملة منها علوماً ضرورية²⁸،

فهذا العلم الضروري ناتج عن أحوال ورموز وإشارات وحركات من المتكلم، وتغيرات في وجهه وأمور معلومة من عاداته ومقاصده، وأمور أخرى لا يمكن حصرها، ويعلم قصد المتكلم إذا قال: (السلام عليكم) أنه يريد التحية أو الاستهزاء أو اللهو وكذلك فعل المتكلم كقوله على المائدة (هات الماء) علم أنه يريد الماء العذب البارد وليس الحار ولا الملح وكذلك تكرير الألفاظ المؤكدة كقولهم: (أكرم المؤمنين كافتهم) أي كبيرهم وصغيرهم²⁹، وهذه كلها في نظر الغزالي تابعة للفظ وليس منه. يقول الجاحظ: " وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد، أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى نصبة، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بئنة من صور صاحبها، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها في السار والضار، وعمما يكون منها لغوا بهرجا وساقطاً مطرحاً. "30" الدلالة بالإشارة: وتكون بالإشارة باليد والرأس، والعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان وبالثوب والسيف.

أمثلة عن دلالة الإشارة³¹ قال أبو العتاهية:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم.
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا..... وأهلا وسهلا بالحبيب المقيم.

قال أحد الشعراء:

العين تبدي الذي في نفس صاحبها..... من المحبة أو بغض إذا كنا .
والعين تنطق والأفواه صامته..... حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

يقول فندريس : " الذي يعين قيمة الكلمة في كل الحالات التي ناقشناها إنما هو السياق ، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا . والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدلّ عليها والسياق أيضاً هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها ، وهو الذي يخلق لها قيمة

حضورية³²

الموقفية³³ :

تتضمن الموقفية العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه ويأتي النص في صورة عمل يمكن أن يراقب الموقف وأن يغيره³⁴ . وعليه فمصطلح الموقفية يمثل تسمية عامة للعوامل التي تقيم صلة بين النص وبين موقف لواقعة ما. سواء أكان موقفا حاضرا أم قابلا للاسترجاع. ونادرا ما تتحقق تأثيرات مقام سياقي معين بدون حدوث التوسط: أي مدى تغذية المرء بمعتقداته وأهدافه الخاصة للنموذج الذي يقيمه للموقف الاتصالي الحالي.

رصد الموقف³⁵ : تتم تغذية النموذج بالقرائن المتيسرة جنبا إلى جنب مع توقعاتنا ومعرفتنا السابقة بشأن كيفية تنظيم "العالم الواقعي" وحين تكون الوظيفة السائدة للنص هي تقديم وصف لنموذج الموقف ، دون التوسط فإن هذا يعني إجراء ما يسمى برصد الموقف .

إدارة الموقف³⁶ : أما إذا كانت الوظيفة السائدة هي توجيه الموقف على نحو موات لأهداف منتج النص فإن هذا يعد إجراء ما يسمى بإدارة الموقف . والحق إن الحد الفاصل بين الرصد والإدارة بعيد كل بعد عن الوضوح والتمييز ، ومن الممكن أن يتغير بتغير وجهة نظر كل من المشاركين علما أن الناس يفضلون تمويه ما يفعلونه من إدارة ويجاولون إظهارها بمظهر الرصد مما يورث انطبعا بأن الأمور تسير على النحو المرغوب في إطار المجرى الطبيعي للأحداث .

إن الفصل بين الرصد والإدارة لا يمكن تحديده بدقة. ذلك أن الناس أحيانا يفضلون التمويه على ما يفعلونه من إدارة ليظهر بمظهر الرصد ، وتكون وكأنها تسير على النحو المرغوب في إطارها الطبيعي للأحداث³⁷ .

أمثلة على الرصد 1- الوصف المحض: ويكون باستجابة لمنبه ما هو مشاهد. 2- التكرير المفرط: ويعتبر أحد العناصر الأساسية للوقائع الضعيفة الاحتمال. **مثال لطف حسين**³⁸: لا أطيل عليك فأمي ثائرة، إذا أصبحت ثائرة، إذا أصبحت ثائرة، إذا أقبل المساء ثائرة، إذا جاء الليل ثائرة. حتى امتلأ البيت حزنا وسخطا وبكاء. الاستفادة من الرصد في الدلالة على نقص الاستمرارية. **مثال:** ماذا تفعل في الظلمة؟ أحاول أن أكتب. أو هكذا يكتب الناس؟ لاحظ كتابة في الظلام عمل ما دافعيته؟ إنه تساؤل يثير رسدا آخر وهو كيف يكتب في الظلام؟

إدارة الموقف³⁹: يدل على استعمال النصوص في المقال لتوجيه دفة الموقف صوب أهداف المشاركين. **الرصد**⁴⁰: يجري لما يخفق الموقف في مجازاة التوقعات أي يصبح منتج النص مقبلا على حل مشكلات الفجوات. أو يعيد توكيد توقعات المرء.

دور المقامية في انسباك النص يقول الجاحظ: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"⁴¹ يقول السكاكي: "لا يخفي عليك أن مقامات الكلام متفاوتة؛ فمقام الشكر يبين مقام الشكائية، ومقام التهنية يبين مقام التعزية، ومقام المدح يبين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار. ومقام البناء على السؤال يغير مقام البناء على الإنكار. وكذا مقام الكلام مع النكي يغير مقام الكلام مع الغبي... وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال"⁴² والسياق عند سعد التفتازاني هو: الحال أي (النصبة) يقول التفتازاني: "والحال هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المراد خصوصية ما، مقتضى الحال هو تلك الخصوصية، ومطابقة الكلام له بمعنى اشتغاله عليه، فإذا كان المخاطب ينكر قيام زيد مثلا فإنكاره حال يدعو المتكلم إلى أن يخبر بقيامه مؤكدا "إن زيدا قائم" وتأكيد الخبر هو مقتضى الحال"⁴³ يقول ابن جني: "فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها: من استخفائها شيئا أو استنقاله، وتقبله أو إنكاره والأنس به أو الاستيحاش منه، والرضا به أو التعجب من قائله وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود، بل الحلفة على ما في النفوس ألا ترى إلى قوله: تقول وقد صكت وجهها بيمينها..... أبعلي هذا بالرحى المتعاس"⁴⁴ فلو قال حاكيا عنها: أبعلي هذا بالرحى المتعاس. من غير أن يذكر صك الوجه لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرا لكنه لما حكى الحال فقال (وقد صكت وجهها) علم بذلك قوة إنكارها وتعظيم الصورة لها، هذا مع أنك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها ولو شاهدتها لكنت بها

أعرف ، ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أئين وقد قيل: (ليس المخبر كالمعائن) ولو لم ينقل لنا الشاعر حال هذه المرأة بقوله: (وصكت وجهها) لم نعرف حقيقة تعاطف الأمر لها. ⁴⁵ يقول العز بن عبد السلام: "السياق مرشد إلى تبين الجملات وترجيح المحتملات وتقرير الواضحات وكل ذلك بعرف الاستعمال ، فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحا وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذما فما كان مدحا بالوضع فوقع في سياق الذم صار ذما واستهزاء وتهكما بعرف الاستعمال مثاله: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ

الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ ^(٤٦) أي الذليل المهان لوقوع ذلك في سياق الذم وكذلك قول قوم شعيب:

﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ ^(٤٧) أي السفیه الجاهل لوقوعه في سياق الإنكار عليه

وكذلك ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَا ﴾ ^(٤٨) لوقوعه في سياق

ذمهم بإضلال الأتباع وأما ما يصلح للأمرين فيدل على المراد به السياق كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى

خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٤٩) أراد به عظيما في حسنه وشرفه لوقوع ذلك في سياق المدح وقوله

تعالى ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثَا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلَا عَظِيمَا ﴾ ^(٥٠) أراد

به عظيما في قبحه لوقوع ذلك في سياق الذم ، وكذلك صفات الرب المحتملة للمعاني المتعددة تحمل في كل

سياق على ما يليق به كقوله: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ

ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ^(٥١) تمدح بسهولة في قدرته وكذلك

قوله: ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعَا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ ^(٥٢) وأما قوله: ﴿ وَمَنْ

يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانَا وَظُلْمَا فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارَا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرَا ﴾ ^(٥٣)

وقوله: ﴿ يَدْنَسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ

وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرَا ﴾ ^(٥٤) فإن المراد في هاتين الآيتين احتقار المعذب وعنته وإنما

جاز ذلك لأن من هان عليك سهل عليك عذابه وعنته ومن عز عليك صعب عليك مصابه ومشقته

وإنما حمل على الاستهانة لأنه لا يصلح من الرب التمدح بالقدرة على تعذيب امرأة أو رجل إذ التمدح من

الرب بأدنى الصفات قبيح في عرف الاستعمال " 55

يقول ابن قيم الجوزية: "السياق يرشد إلى تبين الجمل ، وتعيين الحتمل ، والقطع بعدم احتمال غير

المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق ، وتنوع الدلالة ، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم

، فمن أهمه غلط في نظره ، وغالط في مناظرته . فانظر إلى قوله تعالى " ذق إنك كيف تجد سياقه يدل على أنه الدليل الحقير "56

أمثلة توضح التماسك النصي :

دلالة السياق: وهي ما يستفاد من النص في جميع حالات الإفادة ، سواء بواسطة العبارة أم بواسطة الإشارة والإيماء أو الاقتضاء .

قرينة السياق: إن الدلالة فيما عدا العبارة دلالة على معنى مضاف يلزم عن العبارة أي عن الكلام نفسه ، في هذه الحالة يدل السياق بواسطة الإشارة أو الإيماء أو الاقتضاء على معنى لم يرد في النص عنه تعبير صريح ، حينئذ يكون السياق قرينة على هذا المعنى ، وبالتالي قرينة السياق أخص من دلالة السياق .

سياق النص:

يمكن أن يكون قرينة تركيبية (نحوية ، معجمية) ويمكن أن يكون قرينة دلالية (العلاقات النصية) **سياق الموقف :**

يكون ذا دلالة واقعية مبنية على العرف أو أحداث التاريخ أو مواقع الجغرافيا أو العلاقات العملية الذي حدث فيها الكلام . ويكون ذا دلالة ذهنية تنشأ عن تداعي المعاني لما يحرك بعضها بعضا في توال منطقي .57

أمثلة: قرينة العلاقة النحوية

1- قال الله تعالى : ﴿ طه ١ ﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿ ٢ ﴾ 58 "إلا" تأتي لمعنى الاستثناء لكن السياق في النص القرآني لم يشتمل على مستثنى منه إنما جعل ما سبق "إلا" ما لحقها علاقة استدراك ، وعليه فإن "إلا" في هذه الحالة بمعنى لكن وذلك بدلالة السياق .

2- قال الشاعر59 : أنا ابن أباة الضيم من آل مالك وإن مالك كانت كرام المعادن . "إن" لو كانت بمعنى ليس لشهد البيت تناقضا لأن شرطه الأول مدح فلا يمكن أن يكون شرطه الثاني ذما . وعليه تكون "إن" مخففة من الثقيلة "إن" **قرينة العلاقة المعجمية :**

1- قال الله تعالى: ﴿يَبْتِغِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَكِّرِي سَوَاعَتِكُمْ وَرَيْشًا وَلِبَاسًا التَّقْوَى ذَلِكُمْ خَيْرٌ ذَلِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٥﴾ 60 تلاحظ "لباس التقوى" إنها مفارقة معجمية فالتقوى لا لباس لها، وعليه فلا بد من الكشف عن علاقة معجمية مقبولة بين اللفظين. ما يلائم لفظ لباس : لابس، يلبس، ملابس، ملابس، لباس. يكون بمعنى خالط ولا يطلق على الملابس فقط. وبالربط بين هذا المعنى نلاحظ أن الفهم قد استقام. 61

2- قال الله تعالى : ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴿٩٨﴾ 62

- تلاحظ أن الضمير في (ثمره) يعود على الشجر والضمير في (ينعه) يعود على الشجر لكن لا يقال شجرة يانعة، إنما يقال ثمرة يانعة. ونظرا لوجود مناسبة بينها اقتضى أن يكون الضمير عائدا على الثمر في (ينعه). 63

3- قال الله تعالى : ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴿٣٨﴾ 64
- الله سبحانه يعطي من يشاء بغير حساب ولا يعقل أن يقال :يمسك بغير حساب. لأن في ذلك مفارقة معجمية مما يقضي أن تكون (فامنن أو امسك) على سبيل الاعتراض. 65
الجانب الدلالي :

1- قال الله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴿٢﴾ 66

2- قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴿١٨٠﴾ 67
إنك لتلاحظ أن الفعل (يعدلون) في الآية الأولى أسند إلى (الذين كفروا) وتعلق به الجار والمجرور (بربهم) ففهم منه أنهم جعلوا الله عديلا غيره . والفعل (يعدلون) في الآية الثانية أسند إلى (أمة يهدون بالحق) ففهم من الحق معنى القسطاس ، وذلك على الرغم من كون الوحدة اللغوية (يعدلون) واحدة في النصين . 68 يقول الشاطبي : " فلا بد من ضابط يعول في مأخذ الفهم ، والقول في ذلك والله المستعان أن المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل وهذا معلوم في علم المعاني والبيان، فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم والالتفات إلى أول الكلام وآخره ، بحسب وما اقتضاه الحال فيه ، لا ينظر في أولها دون آخرها ولا في آخرها دون أولها، فإن القضية وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلق ببعض، لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد ، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على

أوله ، وأوله على آخره . وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف . فإن فرق النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلى مراده ، فلا يصح الاختصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض إلا في موطن واحد ، وهو النظر في فهم الظاهر بحسب اللسان العربي وما يقتضيه ، لا بحسب مقصود المتكلم ، فإذا صح له الظاهر على العربية رجع إلى نفس الكلام فعما قريب يبدو له منه المعنى المراد ، فعليه التبعد به . وقد يعينه على هذا المقصد النظر في أسباب التنزيل ، فإنها تبين كثيراً من المواضع التي يختلف مغزاها على الناظر " 69

السياق الواقعي : يعتمد الفهم في السياق الواقعي على العرف السائد والتاريخ والجغرافيا والعلاقات السائدة بين عناصر الموقف الذي تم فيه الكلام . قرينة العرف: يعتبر العرف جزءاً من سياق الموقف وهو قرينة على معنى السياق.

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُكْرَهُوا قَتَيْتَكُمْ عَلَى الْإِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ⁷⁰ لا بد من معرفة عادات المجتمع الجاهلي آنذاك إن الوحدة اللغوية (فتاة) الواردة في النص القرآني ليست ابنة الصلب وإنما تمثل كل جارية عند سيدها حيث كان يكرهها على الزنا طلباً للمال والولد. ويظهر ذلك من سبب النزول حيث كانت لعبد الله بن أبي بن سلول جاريتان ، وكان يكرهها على الزنا ، فشكته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فنزلت الآية الكريمة. 71 قرينة التاريخ:

يعتمد على القرينة التاريخية في فهم النص ، لما يفتقر إلى الإلمام بأحداث تاريخية معينة ، وقعت في فترة يشير إليها النص .
أمثلة : تنفق على بعض الآيات من سورة التوبة .

1- قال الله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ ﴾ ⁷² من هؤلاء ؟

2 - قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَذِّنْ لِي وَلَا تَقْتِئِي ۗ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ ⁷³ من هو ؟

3- قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴾ ⁷⁴ من هؤلاء ؟

إنه وبدون تحريك القرينة التاريخية متمثلة في الرجوع إلى كتب السيرة العطرة وكتب التفسير، ستبقى هذه النصوص غامضة وستبقى هذه الطوائف المشار إليها بالصفات والضمائر مجهولة أيضاً 75.

ترجيح رعاية الموقف:

قال الله تعالى: **وَلَا تُطِعِ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ وَدَعٰ اٰذَنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلٰى اللّٰهِ وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَكَيْلًا** ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾⁷⁶ في هذه الآية الكريمة تتساءل عن الإضافة (أذا هم) أهي مضافة إلى الفاعل أم إلى المفعول؟ لقد اختلف المفسرون حولها، إلا أن رعاية الموقف ترجح أن المصدر مضاف إلى الفاعل وليس إلى المفعول. والمعنى يكون لا تبالي بإيذائهم إياك بسبب إندارك إياهم واصبر على ذلك وهذا الشاهد من السيرة العطرة. فرعاية الموقف المتمثل في السيرة تجعل الإضافة إلى الفاعل وبذلك يحسم نحو النص الأمر من خلال رعاية الموقف. أو المقامية، أما الجملة فتبقى متمتعة بتعدد احتمالي 77، لكون رعاية الموقف تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه، ويأتي النص في صورة عمل يمكن أن يراقب الموقف، وأن يغيره. 78

أهم المراجع والمصادر

- ¹ - البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية أفاق جديدة سعد مصلوح مجلس النشر العلمي جامعة الكويت ط 1 2003 ص 225
- ² - اجتهادات لغوية تمام حسان عالم الكتب القاهرة ط 1 2007 ص 380
- ³ - ينظر: نفسه ص 184
- ⁴ - التقارن، الحبكة (Coherence): يشتمل على الإجراءات المستعملة في إثارة عناصر المعرفة من مفاهيم وعلاقات كالعلاقة المنطقية السببية وكيفية تنظيم الحوادث ومحاولة توفير الاستمرارية في الخبرة البشرية. (مدخل إلى علم لغة النص روبرت دي بو جراند /ولفغانغ ديرسلر /الهام أبوغزالة /علي خليل محمد مطبعة دار الكتاب ط 1 1992 ص ص 12)
- ⁵ - البيان والتبيين الجاحظ، دار الجيل بيروت، تحقيق عبد السلام هارون، ج 2 ص 270
- ⁶ - آسي طيب
- ⁷ - سنق الشعبان كالمتمخ
- ⁸ - لقس ذو الغثيان
- ⁹ - الشنشنة القطعة
- ¹⁰ - لوية ما يخبأ للضيف أو ما يدخره الرجل لنفسه .

- 11 - اللكيك الصلب المكتنز من اللحم .
- 12 - الأقرن الكبش الكبير القرنين .
- 13 - غدرن من باب سمع وضرب شرب .
- 14 - شرشضان ليس لها صواب
- 15 - العطعط الجدي .
- 16 - خرفقا وسفلقا ووجرفقا ليس لها صواب
- 17 - ينظر :لسان العرب ابن منظور ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط 2 1992
- 18 - ينظر :كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ج 4 ص 28 الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 1 1988
- 19 - التهانوي :كشاف اصطلاحات الفنون ج 1 ص 616، 617
- 20 - قرينة السياق للدكتور تمام حسان ، بحث ُقدم في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المنوي لكلية دار العلوم مطبعة عبير للكتاب ط 1 1993
- 21 - معجم علم اللغة النظري :د.محمد علي الخولي، مكتبة لبنان-بيروت، ط 1 1982م، ص 57
- 22 - يحيي أحمد ، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة 84
- 23 - ينظر :اللغة معناها ومبناها، د تمام حسان ،دار الثقافة ،الدار البيضاء المغرب ، ط 1994 ص 337
- 24 - المرجع نفسه، ص 351
- 25 - البيان والتبيين ، ج 1 ص 136
- 26 - ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د محمد السعران، دار النهضة العربية بيروت ، ص : 310،311،
- 312
- 27 - المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث ، د .رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي القاهرة ، ط 3 1997 ص 130
- 28 - المستصفي الغزالي ج 2 ص 90
- 29 - ينظر :المستصفي الغزالي ج 2 ص 90
- 30 - البيان والتبيين ، ج 1 ص 76
- 31 - اللغة، فندريس ترجمة الدواخلي ، مكتبة الأنجلو المصرية 1 1950 ص 231
- 32 - ينظر : مدخل إلى علم لغة النص روبرت دي بيو جراند /ولفغانغ ديرسلر /الهام أبوغزالة /علي خليل محمد
- ص 209
- 33 - النص والخطاب والأجزاء دي بيو جراند ترجمة تمام حسان ص 104
- 34 - النص والخطاب والأجزاء دي بيو جراند ترجمة تمام حسان ص 104
- 35 - ينظر : المرجع السابق ص 209
- 36 - ينظر : السابق ص 209



- 37 - ينظر : السابق ص 220
- 38 - ينظر : السابق ص 220
- 39 - ينظر : السابق ص 216
- 40 - ينظر : السابق ص 217
- 41 - البيان والتبيين ج 1 ص 138، 139
- 42 - السكاكي ، مفتاح العلوم ص 8
- 43 - المطول ، شرح تلخيص مفتاح العلوم سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني تحقيق د/عبد الحميد هندراوي ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ط 3 2013 ص 153
- 44 - الشاعر هو : نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي ، كان الشاعر قد عقد له النكاح على امرأة ولم يدخل بها بعد ، فمرت به في نسوة وهو يطحن بالرحى لضيف نزلوا به فقالت أبعلي هذا تعجبا واحتقارا له فقال الأبيات ، المتقاعس : الذي يخرج صدره ويدخل ظهره وذلك شكل من يطحن بالرحى .
- 45 - ابن جني ، الخصائص ، ج 1، ص 245، 246
- 46 - الدخان: 49
- 47 - هود: 87
- 48 - الأحزاب: 67
- 49 - القلم: 4
- 50 - الإسراء: 40
- 51 - الحج: 70
- 52 - ق: 44
- 53 - النساء: 30
- 54 - الأحزاب: 30
- 55 - الإمام في بيان أدلة الأحكام، الإمام الحافظ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ت 660هـ
- تحقيق رضوان مختار بن غربية ، دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان ط 1 1987 ص 159، 161، 160
- 56 - بدائع الفوائد ابن قيم الجوزية، تحقيق علي بن محمد العمران دار عالم الفوائد مجمع الفقه الإسلامي جدة ، ج 4، ص 1314
- 57 - ينظر : اجتهادات لغوية تمام حسان ص 237
- 58 - طه: 1 - 2
- 59 - الأعراف: 26
- 60 - الأعراف: 26

- 61 - ينظر : اجتهادات لغوية تمام حسان ص 240
- 62 - الأنعام: 99
- 63 - ينظر : اجتهادات لغوية تمام حسان ص 241
- 64 - ص: 39
- 65 - ينظر : اجتهادات لغوية تمام حسان ص 241
- 66 - الأنعام: 1
- 67 - الأعراف: 181
- 68 - ينظر : اجتهادات لغوية تمام حسان ص 242
- 69 - الشاطبي ، الموافقات ج 3 ص 351
- 70 - النور: 33
- 71 - ينظر : اجتهادات لغوية تمام حسان ص 243
- 72 - التوبة: 43
- 73 - التوبة: 49
- 74 - التوبة: 58
- 75 - ينظر : اجتهادات لغوية تمام حسان ص 249 ، 250
- 76 - الأحزاب: 48
- 77 - ينظر: نحو النص ، أحمد عفيفي ص 88
- 78 - النص والخطاب والأجزاء دي بيو جراند ترجمة تمام حسان ص 104